Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاص كما ذكرنا، وعن هذا الديوان ننفذ الرسائل، معبرة عن رغبة السلطان أو من بيده الأمر، إلى الشعب أو الولاة في الأقاليم أو القواد في الميادين، وإليه ترد الإجابة. ومن ثم كانت مقيدة بالغرض والتقاليد الرسمية. وكانت أول أمرها خالية إلى حد كبير من التهويل والمبالغات والخيال الخصب، فلما أفتن الكتاب في أساليبها، واستبقوا في تجويدها لعب الخيال دوره وازدانت بغيرة من المحسنات، لفظية ومعنوية، وصارت مجالاً فسيحاً لأفانين البلاغة، وتفصح الكتاب. فأطنبوا حيث يجب البسط والتفصيل وأوجزوا إذا اقتضى ذلك المقام، وربما بلغوا بالإيجاز حد «التوقيع».

التوقيعات[1]

يراد بها التعليق على الرسائل الواردة إلى الديوان بما يناسبها، مع التعليل لذلك بآية قرآنية أو حكمة سائرة أو قول محكم، من إنشاء الكاتب بأسلوب موجز دقيق، ربما بلغ بالإيجاز حد الاعجاز.

في هذا العصر افتنَّ الموقعون وتجلت على أسلات أقلامهم ثمار البلاغة يانعة، وممن بلغ الغاية في ذلك جعفر البرمكي يقول الجهشياري: كان كاتباً بليغاً إذا وقع نسخت توقيعاته وتدورست بلاغته[2]. ومن ذلك توقيعه لعامل كثر التظلم منه: كثر شاكوك، وقل شاكروك؛ فإما اعتدلت وإما اعتزلت) وفي قصة محبوس يطلب العفو: العدل أوثقه والتوبة تطلقه). وحدث أن وقّع بين يديه عمرو بن مسعدة في شكوى عمال يريدون زيادة رواتبهم بقوله: (قليل دائم خير من كثير منقطع) فضرب على ظهره وقال: أي وزير في جلدك).

يقول القلقشندي: والتوقيع أمر جليل، ومنصب حفيل؛ إذ هو سبيل

---

(١) للتوقيع في اللغة معان عدة يمت أغلبها إلى المعنى الأدبي بصلة، منها: الطرق؛ والميقعة والمطرقة. يقال سيف موقع إذا طرقه الصيقل وحدده بمطرقته، والتوقيع في الرسالة يجعلها نافذة ماضية. ومن معانيه أيضاً التأثير، يقال ناقة موقعة الجنب من أثر الحبال، فما أشبه ذلك بآثار القلم على الصحيفة، وبعير موقع إذا دبر وأصابته قرحة من أثر الرحل ثم برئت وخلفت شامة بيضاء، والتوقيع في الرسالة يكون غالباً بمداد مخالف.

(٢) الجهشياري ص ٢٠٤.